أجمل الحديث

خالد الخليوي



الطبعة الأولى

أجمل الحديث

خالد الخليوي

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م

ح خالد بن عبد الله الخليوي، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخليوي، خالد بن عبد الله بن علي

أجمل الحديث. / خالد بن عبد الله بن علي الخليوي- ط١.

الرياض، ١٤٤٤هـ

١٣٠ص؛ ١٤* ٢٠سم.

ردمك: ٩-٢٥٩٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

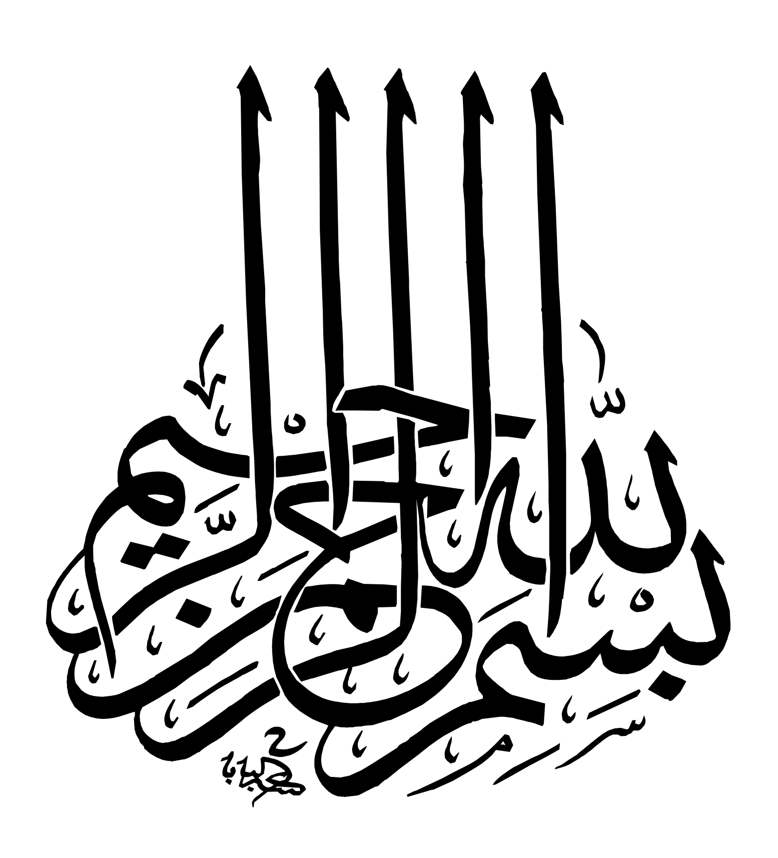
١- الألوهية أ. العنوان

ديوي ٢٤١ ١٠٠٧/ ١٤٤٤

رقم الإيداع ١٠٠٧/ ١٤٤٤

ردمك: ٩-٢٥٩٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأُوْلَى: ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

أجمل الحديث

ولماذا كل هذه الثقة.. حتى تسمّي كتابك (أجمل الحديث) بصيغة التفضيل!

يقينًا لا أقصد حديثي وكتابتي ... وإنما أقصد الـمُتَحدَّثَ عنه، وهو الله سبحانه وتعالى.

الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس كالحديث عن الصحابي، والحديث عن الملك ليس كالحديث عن الوزير...

والحديث عن الأب والأم ليس كالحديث عن الأولاد.

فشرفُ العلم بشرف المعلوم.

وأعظم معلوم على الإطلاق هو ربنا عزّ وجل... فمن هنا كان الحديث عنه هو أجمل الحديث...

سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن، فهي تتحدث عن الله، وآية الكرسي أعظم آية في القرآن، فهي تتحدث عن الله،

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، فقد أخلصت الحديث عن الله تعالى.

وهنا أقول:

ما تطهرت القلوب وتعطرت بمثل الحديث عن الله.

وما سعدت الأرواح وسَمَت بمثل الكلام عن الله.

وما ازدانت الحياة واستقامت بمثل فهم أسماء الله وصفاته والعمل بمقتضاها.

فلنكن معًا إلى أعظم موضوع، وأجمل حديث، وأروع كلام... وهو الحديث عن ربنا ذي الجلال والإكرام.

تذكيرًا بمعاني أسمائه، وتنويهًا إلى عظيم صفاته، علّ القلوبَ أن تطهر، ثم تُحبّ، ثم تشتاق وتعمل.

فيا ربي.. افتح لنا أبواب معرفتك، والأنسِ بمناجاتك.. والطمأنينةِ بذكرك والفوزِ برضوانك.

***

أجمل ما في الكون

هل سبق أن سمعت خرير الماء ينساب من أعـالي الجبـال مكونًا شلالات جميلة تأخذ بالألباب... ما أروعها!!

هل رأيت الأرض بعدما ارتوت من ميـاه الأمطـار وقـد اهتزت وربت فأصبحت خضراء على مد البصر وقـد تفتحـت أزهارها وبدأ شذاها وعبيرها ينتشر في كل اتجاه ... ما أجملها!

هل شعرت بحلاوة عافيتك واستقرار صحتك بعد أيـام شداد مرت عليك ... أعياك فيها التعب ... فنسـيت فيهـا كـل لذة ... حيث أصبح الحلو مراً ... والمقدور عليه صعبًا والنـوم أضغاثًا، ثم بـدأت العافيـة كالنسـيم تتسـلل إلى روحـك قبـل جسمك، فتعيد إليك بتيسير الله راحتك ... وترسم على الوجه ابتسامتك حتى يصبح الطعام لذيـذًا، والنـوم سـعادة ومقابلـة الناس هناءة وسرورًا ... إنها العافية .. ما أهناها ومع ذلك كله

فـإن أجمـل مـا في الكـون هـو أن يهتـدي الإنسـان إلى الطريـق الموصل إلى ربه ، وأن يثبت على هذا الطريق!!

هل تذكرون ما قاله الله عز وجل لموسى عليه السلام حينما أرسله إلى فرعون: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النازعات:١٧-١٩].

تأملوا : ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

نعم ... أدلك إلى الإله الحق الذي يجب أن تخضع له و أن تتوكل عليه و أن تستعين به ، وأن تبذل فيه و أن تطلـب منـه و أن تتحاكم إليه

نعم .. أدلك إلى الرب المستحق للعبـادة لـتعلم (وأنـت تعلـم) أنـك عبـد ضـعيف مسـكين؛ اسـتكبرت فضـللت وأضللت.

ما أعظم الله .. ما أجله .. ما أجمله .. ما أرحمه وألطفـه .. ما أقواه وأقدره!

إله له الملك كله .. وإليه يرجع الأمر كله..

إله رحمته سبقت غضبه ... وعفوه سبق انتقامه..

إله محمود على ماله من الكمال المطلق والفعل الحكيم ، والأسماء الحسنى والصفات العليا.

إله محمود .. حتى وان لم يحمده خلقه

إله .. وسع سمعه كل الأصوات، وشملت رحمته كل المخلوقات، وذلّ لعظمته كل موجود في الأرض أو في السماوات.

إله .. خلقنا لغاية .. وأخبرنا بأنا نسير منذ بدأنا الى نهاية

إما إلى جنة وإما الى دار أهل الغواية

إله يعطيك قبل أن تسأله فما بالك إذا سألته

إله يمنحك وأنت تعصيه

فما بالك إذا أطعته

إله .. شرع للمكلفين من خلقه أحكم الشرائع، وأرسل لهم قـدوات بـذلوا للـورى مـا يسـتطيعون مـن النـدى والصنائع.

إله يسـتحي مـن عبـده إذا رفـع يديـه أن يردهمـا صـفرا خائبتين

إله يغفر الذنوب ، ويفرج الكروب ، ويدل الحائرين إلى الدروب

إله .. يبدل للصادقين معه .. والمنيبين اليه .. سيئاتهم إلى حسنات ودركاتهم إلى درجات

ليست هناك لذة في الوجود تعـادل لـذة مناجاتـه ... ولا يوجد أنس في الكون يقارب الأنس بالقرب منه

بالله وحده .. يجتمع شعث القلب

وبالله وحده.. تأنس الروح وتسعد

وبالله وحده .. يهتدي الفؤاد ويثبت

وبالله وحده .. تذوق النفس ثمرات جنة الدنيا .. لتذوقها هناك مع الأحبة محمدا وصحبه.

مع الله ... يصبح القليل كثيرا وقد قالها محمد صلى الله عليه وسلم لصاحبه: قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

مع الله ... يصبح الضعيف قويا وقد قالها موسى عليه السلام : قوله تعالى: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [سورة يونس: ٧١].

مع الله ... يصبح البعيد قريبا وقد قالها لأوليائه الصابرين: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٤].

مع الله ... يصبح الفقير غنيا وقد قال: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النور: ٣٢].

مع الله .. يصبح الفرد أمة وهكذا كان إبراهيم عليه السلام : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النحل: ١٢٠].

مع الله .. ينال المرء التوفيق والسداد وقد قالها شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة هود:٨٨].

مع الله .. يزول الغم وينكشف الهم وقد قالها يونس عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٧-٨٨].

فإلى الله يا عباد الله توبة إليه .. وعملاً صالحًا من أجله وتصفية للقلب ليكون محلا لكلامه وذكره، وبحثا عن مواطن رضاه ... وتمسكًا بشرعه وعضًا بالنواجذ على سنة خليله صلى الله عليه وسلم...

***

اِعدل مع قلبك

ما أكبر الخسارة، وما أفدح الخطب، وما أشنع الفعل... حينما أذاق الانسانُ قلبَه محبَّةَ إنسانٍ جميل أو حيوانٍ لطيف أو جاهٍ مرموق، وما تعرّض أبداً للأسباب التي تُذِيقُه محبّةَ الله تعالى...

يا أيها النّاس: بادروا بالعدل مع قلوبكم وأعيدوا لها بعض حقوقها، والتي من أعظمها أن يتعرّف على الذي خلقه وأن يسعد بمحبته، وأن ينشرح بمناجاته.

وإن سألت: كيف أذوق محبّة الله تعالى، وكيف أُسكِنُها في قلبي:

فأقول لك، مُختَصِراً ما ذكره أهل العلم في هذا المعنى:

إذا أردت أن تذوق محبة الله تعالى فعليك بشيئين اثنين:

أولاً: تعرّف على الله -عَزَّوَجَلَّ-، وعلى صفاته وأسمائه وتأمّل في عظمته وجلاله وجماله، وسعة رحمته وعلمه

فكلما زادت معرفتك به سبحانه، زادت محبّتُك له، وخشيتُك منه، ورجاؤك فيما عنده.

قِفْ عند عظمته، برؤية عظمة مخلوقاته

وقف عند مغفرته، بتذكُّرِ سَعَة رحمتِه وعَفوِه، وهو الذي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل.

وقِفْ عند حكمته، وهو الذي لا يأمر بشيء إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة ولا ينهى عن شيء إلا بما مفسدته خالصة أو راجحة.

وقف عند حِلمِه وهو الذي يرى ويسمع ما يفعله الخلق بالخلق من الظلم والطغيان والعصيان

ومع ذلك لا يعاجلهم بالعقاب وهو القادر عليهم، مع أنّ خيرَه إليهم نازل، وشرَّهم إليه صاعد.

يتحبَّبُ إليهم بالنعم وهو الغني عنهم، ويتبغَّضون اليه بالمعاصي وهم أفقرُ شيءٍ إليه، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

الثاني: حتى تزيد محبةُ الله في قلبك، تذكر دائماً نعمةَ اللهِ عليك، واستحضر فضلَه إليك.

وكن من الشاكرين له، والمُثنين عليه، والمشاهدين لمنَّته، فإن أكثر الخلق محبّةً لله تعالى هم المستحضرون لنعمته عليهم.

وهكذا جُبلت الِفطَر على محبة من أحسن إليها...

- فما بالك بالذي كلُّ الاحسان منه
- وكلّ الفضل من عطائه
- وكلّ التيسير من جوده
- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:٥٣].

***

وإن تعجب ...

من أعجب العجائب... وأغرب الغرائب

أن يكون الكونُ كلّه لله تعالى

السماءُ سماؤُه والأرضُ أرضُه

والهواء هواؤه والماء ماؤه

والخلق خلقه ابتدأ خلقهم، وهم عائدون اليه

ثم مع هذا كلّه يُحكِّم البعضُ شرعاً غير شرعه...ويبتغي حكماً غير حكمه

هل تجد في الوجود من هو أعلم من الله تعالى؟!

أو تجد في الكون من هو أحكم منه وأرحم؟!

كيف يسوغ للإنسان أن يذهب للملح الأجاج

وعنده الماء الفرات

وكيف يُقبَلُ منه أن يتطلّب الهواء الملوّث

وَيَذَرَ الهواء النّقي

وبنفس المعنى...

كيف يَقْبَلُ العبدُ أن يبحثَ عن تشريع المخلوق

ويزهدَ في تشريع الخالق

ألست تؤمن بأن الله تعالى هو الكامل، والعبد هو الناقص ؟!

ألست تعتقد أن الله تعالى هو العليم، والعبد هو القاصر؟!

ألست تؤمن بأن الله تعالى هو الحكيم الرحيم، والعبد هو الظلوم الجهول.؟!

إذن.. فلماذا تستسيغ دستور الخلق.. وتَشْرَقُ بوحي السماء.

خُذها منطقاً وشرعاً.. الحُكم والتشريع مبنيٌّ على العلم والحكمة والرحمة... ولا أَعْلَمَ من الله تعالى ولا أرحم ولا أحكم.

كم غيّر الخلقُ وبدّلوا، وكم اختلفوا وتناقضوا، وشرعُ الله ثابتٌ ثبوتَ الجبالِ الراسيات:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء: ٨٢].

وهؤلاء الذين يختارون شرعاً غير شرع الله تعالى، بل ويطالبون بتنحية شرع الله عن الحياة لا يخلون من حالين:

فإمّا أنهم جهلوا شَرعَ الله، ودقائق الحكمة فيه، وجمالَ أصولِه وفروعِه.

فأصبحت الصورة عندهم مشوّهة.. والفكرة عندهم ناقصة

وما هذا إلا بسبب تقصيرهم الشديد في الوقوف عند كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ-، وتَعلُّمِ معانيهما، ومقاصدِ الشارع فيهما، وبيانِ شمولهما لجميع مناحي الحياة، واستغراقِ نفعهما للزمان والمكان.

أو أنّ السببَ هو تَقَبُّلُ قلوبِهم، وأذهانِهم لتشويهٍ حميمٍ ومقصودٍ لدين الله تعالى، ومنبعيه الصافيين... الكتاب والسنَّة..

وإمّا أنّهم عرفوا شرعَ الله تعالى وجمالَه وجلالَه لكنّهم اتبعوا أهواءَهم فضلُّوا وأضلُّوا

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة ص:٢٦] .

***

من حقائق التعامل مع الله تعالى

نعيش في قحطٍ ونحن نطيع الله تعالى.. خير من أن نعيش في رخاء ونحن نعصيه.

فمآلنا في الأولى إلى خيرٍ وإن طال البلاء...

ومآلنا في الثانية إلى عقاب وإن كثُر الرّخاء...

***

[يُغفر لهم ما قد سلف]....

هل تذكُر ما فعله مُشرِكُو قريشٍ بالنّبي -ﷺ- ؟

تَعالَ نعدّدْ بعضَ شناعاتِهم معه:

إنهم كذّبوه وكانوا أولى الناس بتصديقه، وهم يلقبونه بالصادق الأمين، فلمّا دعاهم إلى التوحيد انقلبوا عليه وعادوه.

إنهم حاولوا قتله، واضطروه للخروج من بلده التي يحبّها، لا لشيءٍ إلّا لأنّه أمرهم بالحقّ ونهاهم عن الباطل.

إنهم عذّبوا كثيراً من أصحابه وأحبابه، بل وقتلوا بعضهم، وضيّقوا عليه وعليهم في شعب أبي طالب في مقاطعةٍ اقتصادية جائرة لمدة ثلاث سنوات.

إنهم اتهموه بالجنون وهو أعقل من مشى على وجه هذه البسيطة

ومع هذا كلّه يأمره الله تعالى في سورة الأنفال، أن يفتح لهم باب الرحمة، وأن يقرّب لهم فرصةَ التصحيح والمراجعة

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [سورة الأنفال:٣٨].

سبحانك يا ربّي ما أحلمك على من عصاك، وما أرحمك بمن دعاك

إنّ الإنسانَ الضعيف ليتصور في الوهلة الأولى أن الآية ستكون:

"قل للذين كفروا انتظروا العذاب فإنه قريب"

وإذا بالآية تفتح بابَ الأمل.... وتُطمِّعُ المجرمَ برحمة الله تعالى علّه أن يُسرِعَ بفيئتِه.

﴿إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾

نعم: إنها رحمة الله ومغفرته، ولا ينتهي عجبك من الآية الكريمة، وما فيها من عجيب عطاءِ الله لعبده الآيب، ومخلوقه التائب

فيقول الله: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾

نعم... كل ما سلف من إجرامهم وكفرهم، وجبروتهم، يُغْفَرُ لهم، ويُسْتَرُ عليهم إذا هم توقفوا عن المسير في درب الغضب، خوفاً من الله ورجاءً فيما عنده.

بل إنّ آية الفرقان تُعطي ما هم أعظم من ذلك و أجلّ...

إنه تبديل السيئات إلى حسنات:

وهذا الذي لا يملكه الإنسان مع الإنسان، ولا يقدر عليه، وما ذاك إلا لأنه محدودٌ في عفوه و عطائه، وأما الله الكريمُ سُبحانَه، فلا تسل عن شمولِ رحمته، وعظيم مغفرتِه، وسعةِ عفوهِ وكرمِه، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه.

يا من عَدَا ثم اعتدى ثم اقترف ... ثم ارعوى ثم اهتدى ثم اعترف

أبشر بقول الله في آياته ... إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سَلَف

***

لماذا... ؟

هل خطر في بالك هذا السؤال كما خطر في بالي؟

لماذا اسمُ الله المتكبّر والمنّان مدحٌ حينما يُسمّى الله به، وذمٌّ حينما يوصف الإنسان به ؟

تعالَ.... سلّمك الله وأسعدك... أُخبرْك بما ذكره أهل العلم في هذا الباب:

حينما يُسمّى اللهُ بالمتكبِّرِ والمنّانِ ويوصفُ بما يتضمنّه هذان الاسمان العظيمان فإنه يستحق ذلك.

- الله متكبّرٌ فهو أعظم من كل شيء.
- والله متكبّرٌ فهو أعلم بكل شيء.
- والله متكبّرٌ فلا يُعجزه شيء.
- والله متكبّر فلا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض.

- والله متكبّر فلا يَحدُث شيء في هذا الكون إلا بأمره وتقديره.
- والله متكبّر فلا يظلم أحداً من خلقه، بل يعدل معهم ويتفضّل عليهم.

وأمّا المخلوق فما الذي يُسَوّغُ له أن يتكبّر؟

هل يملك ردّ القضاء؟!

أو يقدر على إنزال المطر؟!

أو يستطيع على إنبات الزرع؟!

أو يعلم غيب الغد بَلْهَ... ما بعده؟!

ما الذي يعلمه المخلوق أمامَ مَا يَجهلُه؟ حتى يكون متكبّراً

وما الذي يملكه أمام ما يفقده؟ حتى يكون متكبّراً

وما الذي يستطيع عليه أمام ما يُعجِزه؟ حتى يكون متكبّراً

الإنسان لا يناسبه إلا التواضع

فإنْ تكبّر فقد لبس لباساً ليس له

وقد قال النبي -ﷺ- في الحديث القدسي عن الله تعالى:

"الكبرياء ردائي، والعزّ إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته" (رواه مسلم).

فإن رأيت متكبّراً يوماً ما، فاعلم أنه ما تكبّر إلا بسبب جهله بشيئين اثنين:

أولهما: جهله بعظمة الله تعالى وجلاله وجماله، وكماله.

وثانيهما: جهله بضعفه وعظيم افتقاره إلى ربّه تعالى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [سورة فاطر:١٥].

وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [سورة النساء:٢٨].

وقل مثل ذلك في اسم الله المنّان:

فالله سبحانه منّان: فكل النعم منه

والله سبحانه منّان: فرزق الخلق كلّهم عليه

والله سبحانه منّان: فقد أعطى عباده بعد السؤال وقبله

والله سبحانه منّان: جاد بنعمة الإيجاد... وبنعمة الإمداد والرشاد

فمن يزعم أنها من غير الله ؟!

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:٥٣]

وأمّا أنا وأنت فالمنُّ منّا صفة ذم

هل نحن المستقلّون بالعطاء والمبتدئون به... بالطبع لا

فالمال مال الله، والعطاء عطاؤه، استخلفنا فيه ليرى سبحانه ما نحن فاعلون به ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [سورة النور:٣٣].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [سورة البقرة:٢٥٤] فهو رزق الله وجوده.

ثـم إن مـا نقدمـه مـن هـذا المـال أو تلـك العطايـا فإنّـا

موعودون عليه من ربّنا الكريم بالخُلف والأجر العظيم

فالمعطي على وجه الحقيقة أحوجُ بالأجر من الآخذ.

فالمنّة منّة الله تعالى على عطائه، وتوفيقه

والخزائن، خزائنه، ينفق منها ما شاء على من يشاء

وأمّا المخلوق فمنّته تُفسِدُ عملَه وصنيعَته

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤]

***

الرحمة تلاحقك.. فلا تهرب منها فتندم

مما وورد في الأثر الإلهي، ومعناه جميل:

(أهل طاعتي، أهل كرامتي..

وأهل معصيتي، لا أقنّطهم من رحمتي..

إن تابوا إليّ فأنا حبيبُهم

وإن لم يتوبوا فأنا طبيبُهم

أبتليهم بالمصائب؛ لأطهّرهم من المعايب).

***

وإنّك لفي شأنٍ آخر

لعلّه مرّ عليك ما رواه الامامُ مسلم رحمه الله تعالىَ في صحيحه من حديث عائشة أنّها قالت: افتقدتُّ النّبي -ﷺ- ذات ليلة، فظننتُ أنّه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسّستُ ثم رجعت، فإذا هو راكع أو ساجد يقول:

"سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت" فقلت: بأبي أنت وأمي إنّي لفي شأنٍ وإنك لفي آخر.

كان همُّ عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا- بحكم حبّها العظيم للنبي -ﷺ- وغيرتِها عليه - أن لا يكون ذهب إلى بعض نسائه، والليلةُ ليلتُها.

ثم تبيّن أنها تفكر في وادٍ، وزوجها -ﷺ- في وادٍ آخر إنّه مشغول بذكر ربّه تعالى والثناء عليه.

إنّ في قلبه من تعظيم الله ومحبّته والشوق إلى لقائه ما لا يمكن أن يشغله شاغلٌ عنه.

نعم.... يجالس أصحابَه و يمازحهم، ويلتقي بأزواجه ويضاحكهنّ، لكنّ القلب مع الله تعالى، ولذلك سرعان ما يعود البدن لمطلوب القلب.

لعل ما قالته عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا- هو لسان حالنا جميعاً.

إني لفي شأنٍ....... وإنك لفي شأنٍ آخر.

ومع ذلك ينبغي للعاقل اللبيب أن لا يسمح للدنيا وزخرفها أن تفسد عليه أحسن وأجمل ما فيها، وهو معرفة الله تعالى، وطاعته، والثناء عليه، والنظر في جماله وكماله وعظمته، والتأمل في عظيم خلقه، وسعة علمه ورحمته ولذائذ مناجاته، والأنس به حتى يتحقق اللقاء... ويَتِمَّ للمؤمن في الجنّة البقاء ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣].

فما أعطوا يومئذ أفضلَ ولا ألذَّ من النظر إلى وجه الله الكريم.

***

وما زال التحدّي قائمًا

كما أنّ البعض في دعوته إلى الحق، يناسبه المجادلة، فهناك الكثير ممن لا يناسبه إلا المجالدة

ومن هذا جاء أسلوب التحدّي كثيرًا في القرآن ليضع المعاندين أمام المحك، ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٤﴾ [سورة سبأ:٢٤]، ومن هذا التحدي ما جاء في سورة لقمان من الخطاب مع المشركين الذين ما زالوا يعكفون على أصنام لهم، يعبدونها من دون الله تعالى

﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [سورة لقمان: ١١] فبعد أن ذكر الله تعالى خلقه للسماوات بغير عمد

وخلقه للجبال كالوتد

وخلقه للدوابّ التي لا يُحصى لها عدد

وإنزاله للماء من السحاب!

يفاجئ السياقُ المشركين ومن كان مثلهم باسم الإشارة الدال على القرب ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [سورة لقمان: ١١].

نعم.. هذا خلق الله تعالى وحده وأنتم تعترفون بذلك ولا تنكرونه، فهل تعلمون أحدًا شارك الله في خلقه، أو خلق شيئًا من دونه

هل هذه الأصنام والأحجار وكلّ ما تعبدونه من دون الله تعالى، لها قدرة على الخلق كما هو الله تعالى؟

فلماذا تعطونها هذا القَدْرَ العظيم، وتصرفون لها هذه العباداتِ الكثيرةَ، وهي لا تملك من دون الله شيئًا.

ثم يأتي أسلوب التهكم والتعجيز لهم:

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [سورة لقمان: ١١].

أشيروا إلى أيِّ شيء خَلَقَهُ أيُّ أحدٍ من دون الله تعالى، سيرجع البصرُ خاسئًا، وهو حسير. لكن هو ما قاله الله عنهم في نهاية الآية.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ [سورة مريم:٣٨].

إنه الظلم العظيم لأنفسهم وعقولهم، وإلا فكيف تغيب عقولهم عن أكبر حقيقة في الوجود

وكيف تقبل أكبر خرافة في الحياة

فيذرون الله الخالق، المستحق للعبادة

ويعبدون المخلوق الجامد المحتاج

نعم.. إنّ الإيمان بالله ربًّا وخالقًا ومدبرًا، ومعبودًا لا يستحق أحدٌ العبادةَ سواه، هو أكبر الحقائق، ومع ذلك، ضلّ عنها الكثير، بل الأكثر ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠﴾ [سورة الفرقان: ٥٠].

ليس العجب من إنسان جاهل، في غابة بعيدة، وإنما العجب من مهندسين ودكاترة.. ومثقّفين وعباقرة، في شرق العالم وغربه، عندهم هذا القدر الكبير من الفهم والإدراك ومع ذلك ما زالوا يعبدون أوثانًا، هم الذين صنعوها، ويتركون الله، الذي يرون قُدرتَه وآياتِه في كلّ لحظة من حياتهم.

فيا ربي لك الحمد والفضل والثناء لا نحصي ثناءً عليك..

***

يـا رب لا يـأسٌ وأنـت رجاؤنـا
أنـت الكـريم وهـذه الـدعواتُ

من مظاهر جود الله

أنّ العفوَ.. أحبُّ إليه من الانتقام

والرحمةَ.. أحبُّ إليه من العذاب

والعطاءَ.. أحبُّ إليه من المنع

والفضلَ.. أحبُّ إليه من العدل

عندما أختار...!

حصل معي، ويحصل أحياناً.. وخاصة عندما أكون خارج بلدي، أن أُدعى لإلقاء محاضرة أمام جموع من الناس المختلفين في أديانهم، وليس في مذاهبهم فقط، فأحتار في بداية أمري، ما الموضوع الذي يناسبهم وينتظمهم جميعاً... فأُهدى بتوفيق الله تعالى، للحديث عن الله تعالى

فهو أجمل حديثٍ وأرحبُه

وقلوب الجميع تهفو إليه، وتأنس به إيناساً لامثيل له

نعم إن الحديث عن الله تعالى، وعن عظمته، وكرمه، وسعة عفوه ورحمته، لينسكب على القلوب، كالماء البارد العذب، وما ذاك إلا لأنها تستمع إلى حديثٍ عن خالقها ورازقها ومحييها.

وفعلاً ما إن أبدأ بالحديث عن ربي سبحانه إلا وأرى آثار الأُنس على وجوههم، والتشوّق للمزيد من معرفة الله تعالى،

والتأمل في آثار حكمته وابداعه في كونه الوسيع... وفي خلقه البديع.

ولذلك، لنقرأ عن أسماء الله، وجميل صفاته، حتى نتعلم كيف نُثني على ربِّنا، فإنه أعظمُ من في الوجود، يُحِبُّ المدحَ، وهو أهلٌ له.

فكلُّ مخلوقٍ ممدوح، لا يخلو من النقص والعجز والعيب، وكم مُدِحَ المخلوقُ بما لا يستحقّه، مبالغةً في مدحه أو كذباً في الثناء عليه.

أمّا الله تعالى، فالشأن مختلف، والأمر عظيم، ونبيّنا -ﷺ- وهو أعظم من عرف الله تعالى وأصدق من مدحه وأثنى عليه، ومع ذلك كان يقول في سجوده:

"اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك " (رواه مسلم).

وهنا أقول: الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو أعظم شيء في هذا الوجود، والكمال المطلق ليس إلا له، ورحمته وسعت كلّ شيء وهو الخالق الرزاق، والمحيي والمميت، والعليم الحكيم، فمن الظلم والنقص أن يكون الحديث عنه، هو أقل الحديث.

فيا ربي اغفر لنا تقصيرنا، وجهلنا، بعظيم حقك وجميل صنعك.

أنا مذنبٌ أنا مخطئ أنا غافي ... هو غافرٌ هو راحمٌ هو كافي

قابلتهن ثلاثةً بثلاثةٍ ... ولتغلِبُن أوصافُه أوصافي

***

لا تترك (يا رب).. لا في صغير الأمور ولا في جليلها

لله أشـــكو مـــا يهـــدُّ صَـــلابتي
مـــا خـــابَ قلـــبٌ قـــال : يـــا رحمـــنُ

إنّه هو البرّ الرَّحيم

هذا الاسم الكريم لربّنا سبحانه وتعالى لم يرد في القرآن إلا مرّة واحدة فقط، وذلك في سورة الطور: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [سورة الطور:٢٨].

و الأصل في معنى البرّ: السَّعة

فالبرّ [خارج البنيان] سمّي برّاً لسعته

والبُرُّ [الطّعام] سمّي بُرّاً لأنه أوسع الأطعمة

والبررة هم الملائكة عليهم السلام وصفوا بذلك لسعة عبادتهم لله وطاعتهم له.

والبار بوالديه هو من توسّع في الإحسان إليهما والبذل من أجلهما، والله تعالى بَرٌّ لأنه واسع العطاء والإحسان، فكل خلقه يعيشون بعطائه ورزقه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [سورة هود:٦].

أَحْسَنَ إلى العاصي والمطيع، والكافر والمسلم

وأَحْسَنَ إلى بني آدم ابتداءً قبل أن يسألوه فكيف إذا سألوه

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ [سورة البقرة:١٨٦]

فهو سبحانه، إذا عُبد أثاب، وإذا سُئل أجاب، ويُحبّ العبد التوّاب.

لا يستطيع أحدٌ من البشر أن يزعم أن نعمةَ العين، أو نعمةَ السمع، أو نعمة العافية والأمان أو أيّ نعمةٍ يعيشها إنما هو منه استقلالاً وليست من ربّه.

لقد جاءت الآية واضحةً بيّنة ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:٥٣].

وصدق النبي -ﷺ- وقد قال عن ربّه تعالى:

"يدُ الله ملأى، لا يُغِيضُها نفقة، سحّاءُ الليل، والنهار، أرأيتم ما أَنفَقَ منذُ خلق السماوات والأرض، فإنّه لم يَغِض ما

في يده، وكان عرشُه على الماء، وبيده الميزان يخفِضُ ويرفَع" (رواه البخاري ومسلم).

ومتى استقرّ هذا المعنى في قلبك.. زاد طمعك فيما عند الله

ولم تتردد في سؤاله وطلب العطاء منه... بل كان قلبُك مليئاً بالثقة وحسن الظنّ بِه

فاطلب الله ولا تتردد... واجعل طلبك بين توبةٍ إلى الله تتجدّد.... وثناءٍ على الله يتّسعُ ويتمدّد

ومن أراد الله به خيراً.... فتح له أبواب معرفته، وتمجيده والثناء عليه

فذاق من لذائذ مناجاته والأنس به مالم يذقه أهل الدنيا بدنياهم.

***

أبشر...

إن الـــذي أَمَــرَ الـسّــمَاءَ فــأمطرت
سـيُغيثُ قلبًــا يُبْسُــه قــد طــالا

ولدٌ لا يعرف أباه..

لو افترضنا أن أحد الأولاد يعيش مع والديه من سنين، وفي يوم من الأيام قابلناه فسألناه عن والده أو والدته

ما اسم أبيك؟ فقال: لا أدري

ما صفاته؟ لا أدري

ما محبوباته؟ ما مبغوضاته؟ أيضاً: لا أدري

فهل يستحقُ هذا الولدُ اللّومَ والعتاب؟

بالتأكيد: نعم فلسنا نسأله عن شيء غائب عنه أو بعيدٍ منه

إنّه التقصير في معرفة والديه، والذي سيثمر التقصير في أداء حقوقهما، وجمال التعامل معهما

هنا: ولدٌ لا يعرف أباه

فما بالكم وأن هناك إنساناً لا يعرفُ ربّه

لا يعرف كثيراً من أسمائه وصفاته، ولا يعرف كثيراً من معانيها، وكيفية التعبّد لله بها

الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]

ومع ذلك تجد أن كثيراً من الناس لا يتجاوز مجموعة يسيرة من أسمائه تعالى، يدعو الله بها، ويبتهل اليه من خلالها

فعند الذنب يقول يا غفّار اغفر لي

وعند المرض يقول يا شافي اشفني

وعند العجز يقول يا قدير أعنّي

لكن... هل خطر في باله أن يدعو الله ويتعبّد له من خلال اسمه المبين، والودود، والحكيم، والمؤمن، والسلام، والصمد؟

إننا أحياناً لا نعرف أصل معناها في اللغة، فضلاً عمّا تتضمنه هذه الأسماء من معانٍ عظيمة، تزيد يقيناً من انشراح صدورنا، وطمأنينة قلوبنا، وسعة أفقنا، في تعبّدنا لله تعالى وفي تعاملنا مع خلقه.

لو فَقِه النّاسُ معنى اسم الله الصمد، واستقر المعنى في قلوبهم، لما رأيت في عالمنا الإسلامي قبوراً يطاف بها، ويستنجد بأصحابها من دون الله.

لو فَقِه النّاسُ معنى اسم الله الحَكَم، والحكيم، واستقر المعنى في قلوبهم، لما رأيت من يُحكِّم تشريع البشر، ويذر تشريع خالق البشر.

لو فَقِه الناس معنى اسم الله القدير، المقتدر، لما رأيت هذا الإسراف في الظلم والطغيان والجبروت، ونبينا -ﷺ- يقول لأبي مسعود البدري، وقد رآه يجلد عبداً له:

"اعلم أنّ الله أقدر منك على هذا".

لو تذكر الناس اسم الله الشكور وفقهوا معناه لكان ذلك أكبر دافع لعمل الخيرات، ولو كانت بمثقال الذرّة؛ لأن الشكور سبحانه يقبل العمل الصالح مهما قلّ، ويضاعف الأجر عليه مضاعفةً لا تحيط بها العقول.

***

أُنقُشه في قلبك

من قواعد التعامل مع الله تعالى:

ما قالته عائشة رضي الله عنها:

(من التمس رِضَا الله بِسَخط الناس.. رضي الله عنه وأرضى عنه الناس... ومن التمس رضا الناس بسخط الله سَخِط الله عليه وأسخَط الناس عليه الناس) (ورُوي مرفوعًا).

***

خذها باختصار

١. من عرف عُلوَّ اللهِ، وكبرياءَه لازم طريقَ التّواضع وسلك سبيل التذلّل. وقد قيل: [هَتَكَ سِتْرَه مَنْ جاوز قَدرَه].

٢. [من صحّت بالله استعانتُه، حقّت من الله معونتُه]

٣. مِنْ حلمه سبحانه، أنّه لا يستفزّه عِصيانُ العاصين ولا يحمله على سرعة الانتقام تهتّك الخاطئين، فيحلم حتى يظنّ الجاهل أنه ليس يعلم..

ويستر حتى يتوهم الغَمْرُ أنّه ليس يُبصر..

(الغمر: قليل التجربة والمعرفة).

٤. مَنْ عَلِمَ أن الله كافيه لا يستوحش من إعراض الخلق، ولا يستأنس بقبول غير الحقّ، ثقةً بأن الذي قُسم له لا يفوته وإن أعرضوا، وأن الذي لم يُقسم له لا يصل إليه، وإن أقبلوا.

٥. نِعمُ الله على عباده على نوعين: نِعَمُ نفعٍ ونِعَمُ دفع.

والفَطِن من استحضر النّوعين حتى يَعلَمَ عَظِيمَ نعمةِ الله عليه، فانظر إلى ما أبعده اللهُ عنك من البلاء والشرور مما ابتلى به الكثير حولك، كما تنظر إلى ما أعطاك الله من الخير.

***

بين ابن المبارك وسفيان -رضي الله عنهما-

يقول ابن المبارك -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (جئت إلى سفيان الثوري عشيّةَ عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيتُ فالتفت إليّ فقال: ما شأنك؟ فقلت: مَن أسوأُ هذا الجمعِ حالاً؟ فقال:

الذي يظنّ أنّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يغفر لهم!).

وهذا المعنى الجميل والعظيم.. اسمُه: حسنُ الظنّ بالله تعالى.

وخُذها إضاءاتٍ تزيدُك أو تذكّرُك بهذا المعنى الجليل:

١- حسنُ الظنّ بالله: هو توقعُ الخير، وانتظارُ الفرج، والنَّصرِ منه سبحانه وتعالى.

٢- لماذا أُحِسنُ الظنّ بربي -عَزَّ وَجَلَّ-؟

لأنه أهلٌ لإحسان الظنّ به، فعنده من الكرم والعطاء وسعة العفو، وعظيم المغفرة والرحمة ما يجعلك تنتظر منه كلَّ جميل

٣- لا يكون حسنُ الظنّ في محلّه إلا مع العمل، وإلاّ كان مجرد أمانٍ سرعان ما تتلاشى.

وأقول كما قال أهل العلم: ليس محسناً الظنّ بالله تعالى...
ذاك الذي يرجو من ربّه أن يرزقه الولد ولم يتزوّج بعد
فابذل الأسباب... وانتظر عطاءَ ربّ الأرباب

٤- بعد هذه المقدّمة.. أذكرّك بحديث النبي -ﷺ- وهو يرويه عن ربّه تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، فليظنّ بي ما شاء.

٥- حسنُ الظنّ بالله، ثمرةٌ لذيذة لا تجنيها إلاّ بعد سقاية القلب بمعرفة الله تعالى، والعيش مع معاني أسمائه وصفاته، فحسن الظن بالله حالٌ تعيشه، بعد علمٍ تدرُسُه.

٦- حسنُ الظنّ بالله، من أعظم ما جعل الأنبياء والمرسلين والصالحين، يعيشون في وادٍ، وبقية الناس في وادٍ آخر.

وما ذاك إلا لعظيم الطمأنينة التي استقرت في قلوبهم، والسكينةِ التي خالطت دماءهم، والثقةِ التي ملأت نفوسهم، فجعلتهم يعيشون في سعادة حقيقيّةٍ حتى وهم في أحلك اللحظات.

٧- وهذا يفسّر لك قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لفاطمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وهو في لحظاته الأخيرة: لا كربَ على أبيك بعد اليوم

ويفسِّر لك قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأبي بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وهما في الغار: **"ما ظنك باثنين.. اللهّ ثالثهما"**

ويفسّر لك قول موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لقومه بعد أن قالوا: إنّا لمدركون: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢﴾ [سورة الشعراء:٦٢].

ولهذا كلّه قال النبي -ﷺ-: **"لا يموتنّ أحدكم إلاّ وهو يحسنُ الظنّ بالله تعالى"** (رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه).

***

ما أروعه من اتّفاق..

على مــاذا اتفقنــا يــا فــؤادي؟

إذا ضَــاقت عليــك فمــن تنــادي؟

تُنـــادي اللهَ خلّـــاق البرايـــا

تُنــادي مــن يُنــادي: يــا عبــادي

وإلى ربك فارغب

هل تذكر هذه الآية؟

إنها آخرُ آيةٍ في سورة الشّرح ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾.

جاءت في الختام بعد الامتنان.

الله -عَزَّوَجَلَّ- يَمتُنُّ على نبيّه -صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، ويُذَكّرُه ببعض أفضاله عليه.. ليكون دائمَ الشكرِ له، والثناءِ عليه، وهو القائل لعائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا-: **"أفلا أكون عبداً شكوراً"** متفق عليه.

ثم جاءت هذه الآية لتفتح الأبواب كلّها أمامه، ليطلب العون والتيسير والعطاء من ربّه الكريم ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾.

ما معنى الرغبة: إنها التوسع في الطمع فيما عند الله تعالى.

سأعيد المعنى مرّة ثانية.

إنها التوسع في الطمع فيما عند الكريم سبحانه وتعالى

وهذا المعنى لا يمكن أن يكون من الإنسان للإنسان، ولذلك تقدّم الجار والمجرور على الفعل ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾ ليفيد الحصر.... فإليه فارغب.

نعم: مهما أُوتي المخلوق من صفات الكرم والسّخاءِ فإنّه يضيقُ بكثرة الطلب منه، وتكرار الإلحاح عليه.

نعم: مهما أوتي العبدُ من صفات الإحسانِ وانشراحِ الصّدر فإنه لا يحتمل تَتَابُعَ السائلين عليه ومَجِيئَهم إليه في كل وقت..

أما الله تعالى... فإليه فارغب.. فتوسّع في طلبك، وزد في حاجتك، وألحّ في مرادك.. وأكثر من رغبتك... فإنّه الله

اطلب لنفسك ولأهل بيتك، وللمسلمين أجمعين... فإنّه الله.

اُدعُه الآن، وادعه وأنت مسافر، وادعُه وأنت على جنبك، واطرق بابه في الليل وفي النهار... وفي السر وفي الجهار فإنّه الله

لتبلغ دعواتك ومطالبك مع الله عنان السماء... وَتَذكَّر أنّك تدعو الربّ الكريم الذي لا تفنى خزائنه ولا تجفّ مزائنُه..

وإياك أن تقول كما يقول البعض وهو يدعو ربّه:

يا ربي لا أريد إلا الصحةَ فإنها تكفيني

أو لا أريد إلا السلامةَ من الدَّين فإنّه يكويني

..... بل ارغب فيما عند الله، واطمع في فضلِه الواسع، وسَلْه كلّ خيرٍ في الدنيا والآخرة، واستحضر أنك تدعو الله تعالى وليسَ البشر

وَتَذكَّر قولَ النّبي -ﷺ- وهو يوصي أُمّتَه، وفيهم المذنب والمطيع، والمحسن، والمسيء:

"فإذا سألتم الله ... فسلوه الفردوس" (أخرجه البخاري والترمذي).

***

مقدّمة.. ونتيجة

من عرف اسم الله الغفور... لن ييأس.

ومن عرف اسم الله الرّحيم... لن يقنط.

ومن عرف اسم الله الحكيم... لن يقلق.

ومن عرف اسم الله الصمد... لن يدعو غيره،

ولن يستنجد بسواه.

ومن عرف اسم الله القريب... لن يتأخر في دعائه وطرق بابه.

ومن عرف اسم الله الجميل... اشتاق إليه.

مع الله... لا مجال للاستغراب

كان المشركون، وما زال أتباعهم من الملاحدة، كلما جاء الحديث عن البعث والنشور يوم القيامة، يستغربون ثم يستبعدون، ثم ينكرون أمر الإحياء الثاني للحساب والجزاء، فيخبرهم الله تعالى في كتابه أن الأمر عنده مختلف، والقدرة لديه مطلقة، فيأتي قوله تعالى في سورة لقمان ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة لقمان:٢٨]

فَخَلْقُ اللهِ للبشر كلِّهم، ثم بعثُهم يوم القيامة، كخلقِ نفسٍ واحدةٍ وبعثِها.

وما ذاك إلا لأن أمر الله ليس كأمر قادري الدنيا

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يس:٨٢].

بل يقولُ الله تعالى عن أمر الآخرة كلِّها وما سواها مما يريده عز وجلّ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القمر:٥٠].

كيف يُخرِجُ العبادَ من قبورهم المتفرقة، وأعدادُهم هائلة، فتأتي الإجابة القرآنية لتقول لنا:

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [سورة النازعات:١٣-١٤]

أي فإنما هي صيحة واحدة يأمر الله بها المَلَك فإذا البشر على وجه الأرض لملاقاة حساب الله تعالى.

فيا أيها المؤمنُ، سبّح ربّك وعَظِّمه وأَكثِر من مدحِه والثناء عليه.

ويا أيها المرتاب: اِعقل الحقيقةَ، وانسق لها، واعلم أن خالق السماوات والأرض وما فيهما من عجائب صنع الخالق، وبدائِعه لا يُعجِزُه أبدًا إعادة الخلق، بل كلُّ ذلك عليه يسير

واحذر من نقل موازين الخلق، لتطبّقها على الخالق سبحانه .

***

هكذا فليكن التضرّع..

يــا ربُّ تَعلــمُ حــاجتي فَــامنُنْ بِهــا

أنــا لســتُ أهلًــا غــيرَ أنّــك أكــرمُ

يحبُّهم ويحبُّونه..

دعنا نربط بين آيتين من كتاب الله تعالى: الأولى في سورة محمد وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [سورة محمد:٣٨].

وهنا نطرح هذا السؤال: ما صفاتُ هؤلاء البدل؟

فتأتي الإجابة في الآية الثانية في سورة المائدة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة:٥٤].

قف عند أول صفة ذكرها الله تعالى عن هؤلاء البدل.

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

لم يقل سبحانه: "يُصلّون أو يَصومون أو يُنفقون... وإنما ذكر الأصل، والأساس الذي إذا تحقق في قلب العبد سَهُل بعده كلُّ شيء يأمرهم الله به

بل استعذبوا بعده المرّ، واستسهلوا بعده الصعب **إنّها محبّة الله تعالى...**

نعم، هذا الذي جعل الأنبياء والصالحين يصبرون ويستغنون... والرسول -ﷺ- ينهى صحابته عن الوصال في الصوم ويقول لهم: **"أيُّكم مثلي، إني أبيتُ يُطعمني ربي ويَسقين"** (أخرجه البخاري واللفظ له ومسلم).

نعم، هذا الذي جعل المجاهدين الأبطال يستبسلون وقد قال عمير بن الحُمام: إنها لحياة طويلة إن أنا صبرت حتى آكل هذه التمرات.

نعم هذا الذي جعل الأسخياء يجودون

وقد قال أبو طلحة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- للنبي -ﷺ- بعدما أنفق حديقته: إنّي لأرجو برّها وذخرها عند الله تعالى..

اعلم أن العبد متى ما ذاق محبّةَ الله تعالى في قلبه، واستقرّت في فؤاده، فإنه لن يبغي بها بديلاً، حتى ولو كانت كنوزَ الدُنيا كلَّها.

قولوا لعشّاق الصور، وأصحاب الوَجْد

إنّ محبة الله تعالى شيء آخر، ومعنى مختلف

إنّ محبة الله تعالى هي الزاد الحقيقي للقلب، والذي يجعله سعيداً ومطمئناً حتى في أحلك الظروف، وأصعب المواقف

إنّ محبة الله تعالى هي العزاء للصالحين والأولياء، حتى يلاقوا ربّهم، فيذوقوا لذّة النظر إلى وجهه الكريم.

إنّ محبة الله تعالى، هي المُؤنس في الوحدة، والمُسعد في الوحشة.

إنّ محبة الله تعالى هي التي جعلت يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- يقول لإخوته - وقد فعلو به ما فعلوا-:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة يوسف: ٩٢]

إنه يريد مرضاة محبوبه

إن محبة الله تعالى هي التي جعلت رسولنا محمداً -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- يقول لقومه من المشركين وقد حاربوه وأسالوا الدم على وجهه: **"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"**.

يريد مرضاة محبوبه.

إنّ أهل الدنيا مساكين، حين خرجوا من دنياهم ولم يذوقوا أطيب شيء فيها.

***

هكذا خاطب ربّك سبحانه

أنـتَ الـذي لـوْ مسّـنا مـا مسّـنا..
تبقى الرّحيمَ وأنتَ تجبر ما انكسَرْ

فإني قريب

خبرٌ عظيمٌ يؤكّده اللهُ تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

يَنزِلُ على القلب كالماء البارد في وقت الظّمأ...

وكأنّ الآيةَ الكريمةَ تقول لك: إنّ ربك القديرَ الكريمَ قريبٌ منك... فاقترب منه، وتقرّب إليه.

لماذا تستحضر قُربَ قادري البشر...وتطمئنُّ لهذا القرب... ولا تستحضر قرب الله منك، مع أنّ الأمر كُلَّه بيده... ولا أرحمَ منه في ملكوتِه.

الله قريب من عبده الكافر إن دعاه باضطرار..

فكيف بالمؤمن!

واللهُ قريبٌ من عبده العاصي، إن طرق بابَهُ بصدق.. فكيف بالمطيع!

القريب سبحانه، يسمعُ همسَك وهو في عليائه، في الوقت الذي لا يعلم مجاورُك أحيانًا ماذا تقول..

القريب سبحانه، لا تحتاج معه إلى واسطةٍ من البشر، وإنّما واسطتُك الدّعاءُ الصادقُ والافتقارُ الحاضر، كما قال موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [سورة القصص:٢٤]. فجاءته البشائر تَتْرا.. عملٌ.. وزوجةٌ ورسالةٌ.. ثم كليمُ الله تعالى

لا تنسَ قولَ النبيّ -ﷺ-: **"أقربُ ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد "** (رواه مسلم).

وتذكّر دائماً... أنّ إجابةَ اللهِ لك لا تعني بالضّرورة أن يُعطيك سُؤْلك بالتحديد

فالله أعلم منك بما يصلحك ويصلح لك

والنبيّ -ﷺ- يبشّرُنا ويقولُ لنا: **"مَا مِن مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه الله بها إحدى**

ثلاث: إما أن يعجّل له دعوتَه، وإما أن يدّخرها له في الآخرة. وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثر! قال: الله أكثر " (رواه أحمد).

فكم هي الدعوات التي دعوناها... وعلمنا بعد ذلك أن ما اختاره الله لنا خيرٌ وأبقى مما كنّا نريده بالتحديد.

فاليقينَ... اليقينَ بوعدِ الله تعالى وجمالِ اختياره لنا... ما دمنا. مطيعين له ومقبلين إليه.

***

من أجمل الحقائق ...

حتـــى وإن بَـــدَتِ الســـماءُ بعيـــدةً

إن الـــذي فـــوق الســـماءِ قريـــبُ

التحيات لله

هل توقّفت يوماً عند هذه العبارة التي تقولها في كل صلاة: "التحيات لله"

هل تأملت في معناها

هل راجعت كلامَ أهل العلم في ذلك...

إنها لعبارة عظيمة... ودلالاتها أعظم

التحيات لله: أي التعظيمات المُطلقات لله تعالى وحده لا شريك له.

نعم: المخلوق له عظمة.. وعنده قدره.. ولديه معرفة.. لكنها جميعاً سرعان ما تقف عند حدّها الذي لا تتجاوزه.

يحمل المخلوق الثِّقل.. ثم ما يلبث أن يتوقف عن المزيد ويَحلَمُ المُخلوقُ عن المخطئ في حقه، حتى يصل إلى ما لا يحتمله، فينفجر بركانُ غضبه.

يبذل المخلوق الكريم من ماله وجاهه.. حتى يصل إلى حدّ معيّن، فيعتذر... فخزائنه قليلة مهما كثرت.

أما الله تعالى: فالتحيات المطلقات له وحده.

أعطى خلقه، وما يزال يعطيهم، وما نقص ذلك من ملكه إلا كما يُنقِصُ المخيط إذا أُدخِلَ في البحر

يرتكب المخلوق من الذنوب والشناعات ما تنهدُّ له الجبال وتنقطع به الحبال، ثم يأتي إلى الله تائبا منيباً، فيقابله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة النساء: ١١٠]

يُكرِمُ عبدَه قبل السؤال.. بَلهَ إذا سأله

ويُعطِي عبده وهو يعصيه.. بَلهَ إذا أطاعه

وأبحِر في هذه الباب ما شئت أن تُبحر، فهو المحيط الذي لا ساحل له.

ولذلك ناسب نهايةُ التشهد بدايتَه " إنك حميد مجيد "

إنك يا اللهُ محمودٌ على كلِ شيء

محمودٌ وإن لم يحمدك خلقك

محمودٌ على ذاتك وصفاتك وجلالك وجمالك

محمودٌ على حُكمك وقضائك وجميع أفعالك

محمودٌ على نعمك وآلائك

ومجيدٌ واسع في عظمتك ورحمتك وعفوك وعلمك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [سورة غافر:٧].

***

كلٌّ له قانتون

ما أعظمَ الله، وما أجلّه

وما أضعفَ مدحَنا له وما أقلّه

في الآية الـ٢٦ من سورة الروم يخبرنا الله عن نفسه فيقول ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الروم:٢٦].

له وحده لا شريك له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما خلقًا وملكًا وتصرفًا.

لا يملك أحد على الإطلاق في العالم العلوي أو السفلي أن يدّعي ما ليس له، فيقول: إن لي ملكًا مستقلاً في شيء من السماء والأرض

وقد كان المشركون يقرون بذلك رغمًا عنهم.

ففي سورة المؤمنون يأمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- نبيّه صلى الله عليه وسلم، فيقول: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ

ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤-٨٨].

ثم يؤكد الله تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٦].

فكل ما سوى الله -عَزَّ وَجَلَّ- خاضع لله ولأمره

ولا يملك المخلوقُ إلا الخضوعَ والاذعان للخالق؟

وليس الاذعان هنا، كإذعان العبد لسيّده أو خضوع البشر للبشر، لا يخلو من ظلمٍ، وسخريةٍ وعدوان، وإنّما هو ضعفٌ، وافتقارٌ، وحاجةٌ من العبد لخالقه القادر الرحيم، والعليم الحكيم..

فإذا استحضر العبد قنوتَه القسريَّ لربّه الذي خلقه، وجمع معه قنوتَ الطاعةِ والاختيارِ لهُ ولشرعهِ فقد تمّ أمرُه، وانجبر كسرُه، وانشرح صدره.

***

هكذا ... إذا عرفت الله

ينتــــابني قلـــقُ المصـــير وكلّمـــا

آنســـت لطـــفَ الله عــــاد هـــدوئي

تمسَّك بها

من ألطف العبارات التي قرأتها لأهل العلم في التعامل مع الله تعالى والعمل بدينه: قولهم:

تعرّف على الآمر قبل الأوامر

وتعرّف على النّاهي قبل النّواهي

نعم.. هذا هو الترتيب المنطقي الصحيح.

بل هو الترتيب الذي سار عليه النبي -ﷺ- في دعوته وتبليغ رسالة ربه:

عرّفَ الناسَ بالله، وبعظمته، وبين لهم صفات كماله، وسعة رحمته، وعفوه.

وذكّرهم بجليل نعمته وكبير آلائه عليهم، حتى إذا ما جاءت الأوامر والنواهي والتشريعات استقبلوها بنفس رضيّة... وقلوب مطمئنة، وعقول مقتنعة، فاستمتعوا وهو يعبدون الله ويؤدون شرائعه، وصبروا عند البلاء بسبب عمق

الإيمان في قلوبهم. ورسوخه في أفئدتهم، فلم تستطع سهام الترغيب والترهيب أن تخترق إيمانهم، أو تهزّ مبادئهم، أو تعرقل سيرهم، بل زادتهم تمسّكًا، وثباتًا..

وملأت نفوسهم رضًا وإخباتًا..

وتوقّف إن شئت عند الله قوله تعالى لمحمد -ﷺ-:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد:١٩].

وعند قوله تعالى لموسى -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-:

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ [سورة النازعات:١٧-١٩].

لتعلم عمقَ وصدقَ مقولة أهل العلم السابقة.. (تعرّف على الآمر قبل الأوامر..)

فتمسك بها علمًا، وعملاً.. واستحضارًا.. ودعوة.

***

وعدَ الله

بعد الحديث عن غلبة الرّوم للمجوس في بضع سنين، كما أخبر الله تعالى في سورة الروم تأتي هذه الآية ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [سورة الروم:٦].

كلمة وعد، كلمةٌ خفيفةٌ جدًّا عند النّطق، وليس لها تأثير كبير، لكن لما أُضيفت إلى الله تعالى أصبحت كلمة ثقيلة بمعناها ومضمونها، بل أصبح هذا الوعد هو أعظمُ وعدٍ على الإطلاق. إنه وعد الله تعالى.

ولك أن تسأل: لماذا هو أعظم وعد؟

فتأتي الإجابة.. لأنّ الوعد يَعظُمُ بِعظَمِ الواعدِ وقُدرتِهِ وصِدقِهِ.

ولا أصدقَ من الله تعالى ولا أقدرَ منه.

إن وعد البشر للبشر مهما بلغ من الدقّة والصدق فلا يمكن أن يقارن بوعد الله لأوليائه والمؤمنين به، فالبشرُ إمّا قادرٌ

غيرُ صادق، أو صادقٌ غيرُ قادر أو قادرٌ وصادقٌ لكنّه تحت مشيئة الله تعالى وقدره وحكمته، ولذلك كان اليقين بوعد الله تعالى أعظمَ ما يَسكُنُ القلوبَ فَيُطمئِنُها، وأسمى ما يَمُرُّ على الأرواح فيُسْعِدُها.

فكيف يثق البشرُ بوعود البشر ويسكنون إليها، ويطمئنون بها، ولا يجدون مثل هذا أمام وعود الله تعالى، وهو الأعظم حقًّا.. والأقدر فِعلاً.. والأصدقَ قِيلًا..

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [سورة فاطر:٥].

فيا ربي ارزقنا اليقين بوعدك... والأُنس بمناجاتك، والطمأنينة بذكرك، والشوق إلى لقائك، ثم لقائك.

***

علامة... (احذر)

نُقِلَ عن بعض أحبار بني إسرائيل أنه قال في دعائه: (يا ربّي، كم أعصيك ولا تعاقبني!

فقيل له: كم أعاقبك ولا تدري!

أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟!)

إذن يجب أن ندرك أن عقاب الله تعالى للعبد ليس بالضرورة أن يكون صاعقةً محرقة.. أو مصيبةً مغرقة.. بل ربما كان العقاب منعًا من خير، أو وحشةً في قلب، أو نفورًا من حبيب، أو فواتًا لمطلوبٍ مرتقب.

ربّما كان العقاب خفيًّا، لا يدركه إلا أصحابُ القلوب الحيّة، والنفوس الزكيّة، الذين يسارعون في الفيئة، ويعجِّلون بالتوبة، ويُصحِّحُون المسار، ويبعدون عن المضارّ، ويصاحبون الأخيار.. ويكثرون من الحمد لربّهم والثناء عليه، فلولاه لما عرفوا ليلًا من نهار.

وقد كان الحكماء يقولون: المعصية بعد المعصية، عقاب المعصية، والحسنة بعد الحسنة، ثواب الحسنة.

قلت: مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ﴾ [سورة الشورى:٢٣]

***

هل تعلم له سَمِيًّا؟

هذا الاستفهام جزءُ من آيةٍ في سورة مريم، وقد كان النبي -ﷺ- يستبطئ أحياناً نزول جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وما ذاك إلا لشدة شوقه إلى وحي الله تعالى، فقال -ﷺ- لجبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة مريم: ٦٤].

فالأمر كله بيد الله تعالى...ماضيه وحاضره ومستقبله.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة مريم: ٦٤].

فالله تعالى لم يكن لينساك، وإن تأخر الوحي فذلك أمر الله تعالى، وتلك حكمته، وهذا بلا شك من أعظم التسلية للنبي -ﷺ-

ثم أثنى الله تعالى على نفسه فقال:

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهو الخالق والمدبّر والحاكم والمتصرف في ذلك كلِّه.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ لأنه وحده المستحق للعبادة، وما سواه فهي معبودات زائفة.

﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [سورة مريم:٦٥] فالطريق إلى الله تعالى، والسير على هديه والدعوة إلى دينه، طريق كثير المشاقِّ، فقوِّ نفسَك... وشُدّ عزمَك... واستعن دائماً بربّك ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥].

إنه الانكار والنفي لوجود أحدٍ في هذا الوجود يشابه الله تعالى في ذاته أو في صفاته.

وانظر في كل ما عُبِد من دون الله تعالى في السماوات أو في الأرض، هل يملكون ما يتصف الله به من الكمال والجمال والجلال؟!

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥].

هل في الوجود كلّه من يُعطي مثلَ عطاء الله، أو يغفر مثلَ مغفرته، أو يلطف مثلَ لُطفه، أو يرزق مثل رزقه، أو يخلق مثل خلقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة فاطر:٣].

كيف يُعبد مَن كان دون الله تعالى، ويُترَكُ الله....

كيف يُستغاث بالميت، ويُطلب الشفاءُ من العاجز، والله عز وجل يتقرب من عباده ويقول لهم: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

كيف يبحث المخلوق عن نور يستضيء به، من غير كتاب الله تعالى، وهدي نبيه -ﷺ-، والله -عز وجل- يقول:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة:٥٠].

أيُّ جُنونٍ يصيبُ الإنسانَ حينما يشرك بالله تعالى أو يُنكر وجودَه، ثم يعبد المخلوقَ ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠].

إن الله تعالى له الكمال والغنى الذاتي، كما أن المخلوق مفتقر من جميع الوجوه إلى هذا الإله العظيم

فيا ربي اهد القلوب... ونوّر الدُّروب... وحقّق المطلوب.

***

أجمل هروب

عبدٌ أنا والحُزن يَعصِرُ خَافِقي
ضمِّد جِراحِي إنَّني لكَ أهربُ

وعلى الله فليتوكل المتوكّلون... لماذا؟

إن أردتَّ أن أُوصِلَ إليك ما أريده من كلامي بدون مقدمات.. فسأقول لك:

يقول أهل العلم واللغة: إن تقديم الجار والمجرور (على الله) على الفعل (فليتوكَّل) يفيد القصر.

يعني اجعل كلّ توكلك القلبي على الله تعالى، وحاول أن لا تلتفت إلى أحدٍ من البشر.

نعم.. باشر أسبابَ النجاح والنجاة بجوارحك، واسمح بالمساعدة من بعض إخوانك وأصحابك. أما القلب: فينبغي أن لا يشاركَ اللهَ فيه أحد.

وهنا نقول: لماذا أجعل توكلي على الله وحده.. ولا أعتمد بقلبي إلا عليه

الجواب: لأنه القدير -سبحانه- على كل شيء ولا أحد يساميه في هذا الباب أبدًا.

فهو القادر وحده على وجه الحقيقة في تيسير أمورك، وتحقيق آمالك ودفع الشرور عنك، وإبعاد الأذى منك.

وهو سبحانه الأعلم بحالك، والأقرب إليك.

ثم زيادةً على ما عند الله تعالى من الرحمة الواسعة التي لا تجدها عند أحد من خلقه.

فالله تعالى إذا قال صدق

وإذا وعد قدِرَ وأوفى.

أما المخلوق.. فمهما بلغ من العظمة

فربّما صدق في قوله.. وربّما كذب

وربّما أوفى بوعده.. وربّما عَجِز

وهو مع ذلك.. إن علم عن حالك في ساعة، غاب عنك وغبت عنه في ساعات.

أمّا الله تعالى: فعنده من القدرة، والرحمة والعلم، والحياة والقُرب ما يجعلك شرعًا ومنطقًا لا تتوكل إلا عليه -عَزَّ وَجَلَّ- وقد

قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ [سورة الأحزاب:٣]، وقال أيضًا في سورة الفرقان: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان:٥٨].

وإذا بلغ هذا المعنى شغافَ قلوبنا

فلا تسل عن الطمأنينة والسكينة والارتياح والهدوء.. بل والفرح الذي سينسكب في قلوبنا، ويملأ أفئدتنا

وهنا سنذوق معنى آيةِ الطلاق حالاً، وقد قرأناها لفظًا ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣].

***

المحبّة... تُذهب المشقّة

هل رأيتَ من نفسك كيف تنفّذ طلباتِ محبوبِك وأنت في تمام المتعة والسعادة.

ومستعدٌّ كذلك لقبول المزيد من الطلبات..

فكيف إذا ذاق القلبُ ألذَّ محبةٍ وأجملَها وأسماها، وهي محبة الله تعالى ذي الجمال والجلال والكمال المطلق.

فهنا.. تسهل العبادة.. وتثبت الأقدام.. ويعظم الشوق..

***

تعليقٌ قيّم.. من ابن القيّم

عند دعاء النبي -ﷺ-:

"وأسألك لذّة النظر إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك".

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

(جَمَعَ في هذا الدعاء بين أطيبِ ما في الدنيا.. وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيبِ ما في الآخرة وهو النظر إلى وجهه الكريم).

فيا رب... اِجمع لنا بين الأطيبَين.

***

المعنى الآخر

من أسماء الله تعالى التي لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة

اسم الله " البرّ " ففي سورة الطور ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [سورة الطور:٢٨].

والمعنى الأول " للبرّ" هو الواسع في عطائه لخلقه.

أما المعنى الآخر وهو شاهدنا هنا: هو الصادق في وعده، والموفي بعهده

أي: لا أَصْدَقَ وعداً وحديثاً من الله تعالى

و قد امتلأ القرآن بالوعود الربّانية التي تُطمئِنُ القلبَ وتُسعِد الروح

كيف لا والربّ العظيم يقول لعباده في سورة فاطر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [سورة فاطر:٥].

وتُؤتي هذه الوعود ثمارها... حينما تقع على قلبٍ مُوقنٍ بوعد الله تعالى ومصدّقٍ بأخباره.

ولا يمكن إطلاقاً أن يأتي الخُلف من الله -عَزَّ وَجَلَّ- وإنما هو العبد المقصّر بأداء ما اشترطه الله عليه من الايمان به، والسير على هدي نبيّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وهنا أنقلك إلى نهاية المطاف...

وبعضِ الحوار الذي سيدور يوم القيامة بين أهل الجنة وأهل النّار في سورة الأعراف...

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [سورة الأعراف:٤٤]. هؤلاء صَدّقوا بوعد الله، وعملوا من أجله، فنالوا السعادة الأبدية في جنات النعيم وأولئك كَذّبوا بوعد الله، ولم يكترثوا به فجاءهم اليقين فأصبحوا أمام الحقيقة المرّة، وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون..

فيا ربي نعوذ بوجهك أن نكون منهم..

وإليك الآن بعضَ وعودِ الله تعالى في القرآن الكريم، وانظر صادقاً ما وقعُها في قلبك، وما مدى يقينِك بها.

١. أو يؤمن الشيطان بوعد الله، ويضعف اليقين به عند المسلم؟!

قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٢].

٢. سينهدّ السدّ، ويخرج يأجوج ومأجوج.

قال تعالى في سورة الكهف:

﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾.

٣. وعاد الوليدُ إلى أمّه:

قال تعالى في سورة القصص: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾.

٤. عقروا الناقة...

فنزل بهم من العذاب ما ليس لهم به طاقة...

قال تعالى في سورة هود:

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ ۝٦٥﴾.

٥. حتى تَنزلَ الأرزاق... وتَتسعَ الآفاق...

اقرأ ما قاله الله تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾.

٦. النّصر قادم، فاتصف بصفات أهله.

قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾.

وهنا أكتفي بهذا القدر من الوعود....

وارجِع إلى وحي الله تعالى حتى تجد ما يسرّ خاطرك...

فهو سبحانه الغفور الودود.

***

كلّ يوم هو في شأن

هذه من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله وغناه المطلق عن كل أحد، وافتقارِ كلِّ أحدٍ إليه:

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الرحمن:٢٩].

الملائكة.. الجن.. الإنس.. كلّ المخلوقات لا تستغني عن الله تعالى طرفة عين.

فكلهم يسألونه ويطلبونه العون والرزق والخيرات، وما ذلك إلا لأن كلّ الأرزاق والخزائن بين يديه، وهو الأكرم على الإطلاق.

فقد أعطى عباده، مع كفرهم به، وعصيانهم أمره.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:٥٣].

وفي الحديث: **"مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ"**[١].

وهو سبحانه ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [سورة الرحمن:٢٩].

قال أهل العلم: إن ذكر اليوم هنا ليس مرادًا به اليوم المحدود بطلوع الفجر إلى غروب الشمس، وإنما المراد مطلق الوقت، فالله جل شأنه في كلّ لحظة وساعة في شأن وتدبير.

يدبّر أمور الخلائق كلّها، ولا يمسّه لغوبٌ أو سِنَةٌ أو نوم.

نعم... هذه صفات الإله الحق، الذي يستحق الخضوعَ له، والسّيرَ على شرعه، والوثوقَ بوعده.

فهو عليم بكل شيء، وقادر على كل شيء.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ (٧٣٧٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (٢٨٠٤).

ورحمته الله وسعت كل شيء..

ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

فكل ما تراه أو تسمع عنه أو ما غاب عنك

من إعزازِ قوم، وإذلالِ آخرين

وإغناءِ أناسٍ وإفقار أناس

أو إحياء مخلوقاتٍ، وإماتة مخلوقات

أو نصرِ مظلومين، وأخذٍ لظالمين

أو إنزالِ مطر، وإنبات زرع

فهو من تدبير الله تعالى، المبنيِّ على العلم والحكمة والرحمة

فإلى الله مدحًا وثناءً وتعظيمًا

وإلى شرعِ الله فهمًا، وأخذًا، وتحكيمًا.

***

إذا قلت: يا الله

بمجرد أن تدعو الله تعالى، وتلجأ إليه

فإن هذا يتضمن ما يلي:

١- إيمانَك بأن الله موجود.. فمن ليس بموجود لا يُدعى.

٢- إيمانَك بأن الله غنيّ.. فإن الفقير لا يُدعى.

٣- إيمانَك بأن الله سميع.. فإن الأصم لا يُدعى.

٤- إيمانَك بأن الله رحيم... فإن القاسي لا يُدعى.

٥- إيمانَك بأن الله كريم.. فإن البخيل لا يُدعى.

٦- إيمانَك بأن الله قدير.. فإن العاجز لا يُدعى.

فَسِرْ في هذا الحياة مطمئنًا.. ما دمت تقول يا الله.

والغبيّ.. من ظنّ أنّه يمكن أن يستغني عن الغنيّ.

***

(وأهدِيكَ إلى ربك فتخشى..)

هذا من أجمل الأساليب مع الطغاة وأقواها..

وهو من أنفع الطرق مع المتجبرين وأنقاها..

وهذا ما استخدمه موسى عليه السلام... مع فرعون عليه الملام.

والطاغيةُ ربما وصل في طغيانه إلى ادعاء الربوبية كما فعل فرعونُ الضعيف ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [سورة النازعات:٢٤].

والمتجبّر ربما وصل في جبروته إلى أن يزعم أنه مستغنٍ عن ربّه تعالى، وأن ما يعيشه من النعمة إنما هو محض تدبير منه، كما فعل قارونُ الفقير ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [سورة القصص:٧٨].

وهنا... اِعرِضْ عليه صفاتِ الإلهِ الحقّ، والربّ المستحقّ..

ذكِّره بخالق الكون.. ومدبِّر الأمور، وذكِّره بمُنزِل الأمطار ومُنبت الزروع..

اسأله عن مُجري السّحاب ومُيسِّر الصعاب..

قل له: أين كنت قبل مدّة يسيرة من الزمن...

وقل له: هل تستطيع أن تردّ عنك الموت والأمراض والمحن؟!

بل اسأله عن مُجري الدّمِ في عروقه

وميسّرِ الأنفاس في جوفه

وخالقِ ملايين الخلايا في جسده

فإن كان ذا قلب طاهر... وعقل وافر

فسيعلنها توبة إلى الله... وفرارًا إليه، واصلاحًا للعلاقة معه.

فمعرفة الله تعالى.. والعلم بصفاته وقدرته وكمالاته... هي أعظم ما يورث الخشية في القلب:

تلك الخشية التي تتضمن الهيبةَ من الله تعالى، مع تعظيمه ومحبّته والشوق إليه.

وإن كان ذا قلب متكبر ونفسٍ خبيثة
عاند الحقّ.. واستكبر على الخلق
فكانت نهايتُه في الدنيا ذلًّا وخذلانا
ونهايتُه في الآخرة مقتًا ونيرانًا.

***

(حقيقة)

كلُّ انكسارٍ فهو ذلٌّ، إلا الانكسارَ بين يديّ الجبّار سبحانه، فإنه في حقيقته العزّ والشرف والرّفعة.

***

لعلّك توافقني

لعلك توافقني في أن أغلب من يتحدث أو يكتب عن "الشكر" إنما يتحدث عن شكرِ المخلوق للخالق سبحانه... وهذا حقّ بلا شك، فالله سبحانه أنعم على الخلق أجمع، ويُحِبُّ من عباده أن يشكروه حتى يزيدهم من فضله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [سورة إبراهيم:٧].

ولكنّ هناك جانباً أسمى، قلّ من يتحدث عنه، ألا وهو شُكرُ الخالق سبحانه للمخلوق..

وإنّ استحضارَ العبدِ لهذا المعنى، من أعظم ما يدفعه للعمل الصالح والاستمرار عليه

وهنا ينبغي التذكير باسمين عظيمين لله تعالى، وأسماؤه كلها عُظمى

قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨﴾ [سورة البقرة:١٥٨].

وقال سبحانه في سورة فاطر: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [سورة فاطر:٣٤] .

فما يعمل العبد عملاً صالحاً ولو بمثقال الذرّةِ إلاّ ويشكره الله له

فربّنا سبحانه غفورٌ للذنب مهما جلَّ... وشكورٌ للعمل الصالح مهما قلّ..

ويأتي السؤال هنا: كيف يكونُ شُكرُ الله تعالى لعبده

فيكون الجواب بما يلي:

١) بالثناء عليه ومحبَّتِه، وقد أثنى الله على كثيرٍ من عباده وأنبيائه، وفازوا بهذا الشرف الرفيع.. والثناء البديع...

ومن هؤلاء سليمان عليه السلام، وقد قال الله عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [سورة ص: ٣٠].

وقال سبحانه في أواخر سورة مريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [سورة مريم:٩٦].

أي: يحبهم الله، ويحببهم إلى عباده المؤمنين.

٢) بإجزال المثوبةِ ومضاعفةِ الأجر، وقد قال الكريم سبحانه ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [سورة الأنعام:١٦٠]، وقال في سورة البقرة ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

فسارع وسابق في العمل الصالح كمّاً وكيفاً، لِتَدخُلَ في مضاعفة الله تعالى، فترى من العطاء ما يدهش عقلك.. ومن الجزاء ما يسعد قلبك.

تنبيه:

شُكرُ الله تعالى لعبده أوسعُ مما يتصوّر العبد، فربّما كان زيادةً في التوفيق، أو سعةً في الرزق، أو بسطاً في العافية، أو

ذكراً حسناً بين الخلق، أو تسخيراً للخير أو انشراحاً في القلب، أو زوجةً صالحة، وذريّةً طيبة... أو كلُّ ذلك.

فمع الله تعالى ربحٌ مضمون... وحالٌ مأمون.

***

اجعلها في بالك

ليس الخوفُ من أن يحرمك الله وأنت تطيعه..

وإنما الخوف من أن يعطيك الله وأنت تعصيه

***

وقفةٌ عند حديث معاذ

كلّما قرأت قولَ النّبي -ﷺ- لمعاذ:

"والله يا معاذ إني لأحبّك: لا تدع أن تقول في دُبُرِ كلِّ صلاة: اللهم أعنَّي على ذكرك وشكركِ وحُسنِ عبادتك".

توقفت عند قوله: اللهم أعني على ذكرك

فأقول في نفسي: ذكرُ الله سهلٌ ويسيرٌ بنصّ قول النبي -ﷺ- **"كلمتان خفيفتان على اللسان..."**

فلماذا التأكيد على " أعنِّي "

حتى رأيتُ بعضَ أهل العلم عند شرحهم لهذا الحديث وقد نبّهوا بما مفاده ما يلي:

إنّ ذكر الله تعالى سهلٌ على اللسان، ويسير عند الأداء ومع هذا فلعلّ الذين يذكرون الله -عَزَّ وَجَلَّ- كثير، لكنّ الذين يكثرون ذكر الله عز وجل قليل

فالمحكُّ في ذكر الله تعالى أن يكون (كثيرًا وشاملاً)

فأمّا الكثير... فكثير من الآيات التي جاءت تحثّ على الذكر وَصَفَتْهُ بالكثير كقوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤١] فالله -عَزَّ وَجَلَّ- يستحقّ ذلك وأكثر، لأنّ الكمالَ كلّه له، والأمرَ كلّه بين يديه.

وهل يُلام الانسان على الإكثار من ذكر أبيه وأمه؟! فكيف يُستغرب منه، فضلاً عن أن يعاتب على الإكثار من ذكر ربّه، وهو الذي خلقه، وأسبغ عليه نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً.

وهنا أقول: إنَّ ذكرَ اللهِ تعالى سهلٌ في بداية الأمر، ثم تَجِدُ بعضَ الصّعوبةِ عند محاولة الاستمرار والإكثار، وما هو إلا الصّبرُ والاستعانةُ بالله تعالى حتى تصل إلى الأُنسِ بذكر الله، والسعادةِ بالثناء عليه، والسّرورِ بمدحه، ثم الطمأنينةِ في القلب والانشراحِ في الصدر، والبركةِ في العيش، بل هي الحياة

الحقيقية مع الله تعالى، وقد قال النبي -ﷺ-: **"مَثَلُ الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكره كمثلِ الحيّ والميّت "**.

وأما القيد الثاني في ذكر الله تعالى، فهو أن يكون ذكراً شاملاً:

فلا يكفي مجرّدُ ذكرِ اللسان.. والقلبُ في غفلة...

ولا يكفي مجرد نطق الأفواه.. والجسم في مخالفة..

إنما هو ذكرُ اللسان المواطئ للقلب، والمُؤثّرِ على الواقع..

ومن هنا عليك أن تدرك أن كلّ ما تقوم به من دين الله تعالى، إنما هو لإقامة ذكر الله

وقد قال النبي -ﷺ-: **"إنما جُعل الطواف بالبيت، والسعيُ بين الصفا والمروة، ورميُ الجمار لإقامة ذكر الله"**.

فصلاتك وصومك، وبرّك بوالديك، وبَذْلُك للخير وإطعامك للمسكين، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وبُعْدُك عن الحرام، كلّها ذكرٌ لله، وإقامةٌ لذكره.

فإلى قوافل الذاكرين انطلاقا.

ومع قوافل الذاكرين لَحَاقا.

وفي قوافل الذاكرين منافسةً وسباقاً..

***

ممّا يحبّه الله منك

من أعظم ما يحبّه الله من عبده أن يكون فَطِنًا لِنعَمِه، ذاكرًا لها..

خذ هذه الآيات على سبيل التذكير:

في سورة فاطر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة فاطر:٣].

وفي سورة الأحزاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ [سورة الأحزاب:٩].

وفي سورة آل عمران:

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

وفي سورة الضحى:

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾ [سورة الضحى:١١].

فكن متذكّرًا ومذكّرًا بنعمة الله تعالى.. حتى تكون من المفلحين.

ففي سورة الأعراف يقول المنعم سبحانه:

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٦٩﴾ [سورة الأعراف:٦٩].

وخذها متسلسلة:

كثرة ذكر النعمة، يثمر كثرة الشكر

وكثرة الشكر، يثمر مقابلة النعم بالحمد والطاعة

والحمد والطاعة، تثمر لك الفلاح في الدنيا والآخرة..

***

تفقّد نفسَك

اتلُ هذه الآيات وتدبّرها، فهؤلاء هُمُ الذين (الله معهم ويحبّهم) فتفقّد نفسك...

- في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [سورة النحل:١٢٨].
- وفي سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [سورة البقرة:١٥٣].
- وفي سورة البقرة: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [سورة البقرة:١٩٥].
- وفي البقرة أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].
- وفي سورة آل عمران: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [سورة آل عمران:١٤٦].
- وفي سورة الصفّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [سورة الصف:٤].

فإن كنت منهم، فاحمد الله.

وإن تأخرت عنهم، فالحق بهم.

***

توّابٌ.... يقابله توّاب

لعلك تذكر أنّ من أعظم الصّفات التي يحبُّها اللهّ في عبده هي ما ذكره في سورة البقرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].

ولعلّك تذكر أيضاً... أنّ من أعظم أسمائه سبحانه (وأسماؤه كلُّها عظيمة) هو ما ذكر سبحانه في سورة النّصر: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [سورة النصر:٣].

فـ (التوّاب) الأولى صفة للعبد

و(التوّاب) الثانية صفة للربّ سبحانه

فما معنى كليهما:

العبد التوّاب: هو العبد الرّجّاع إلى الله تعالى، كلّما شَعُرَ بالتقصير في حقه او في حق خلقه.

العبد التوّاب: هو الذي يملك قلباً حيّاً متيقّظاً، لا يقبل الخطيئة والمعصية، ولا يرتاح معها، ولا يطمئنُّ إليها، بل سرعان ما يحثّ صاحبَه إلى الرجوع إلى الله، والانطراح بين يديه.

سواءٌ كان الخطأ ارتكاباً للذنب.. أو تقصيراً في الواجب..

وسواءٌ كان الخطأ في حق الخلق.. أو في حق الله تعالى.

العبد التوّاب: هو الذي يتصف بسرعة الفيئة... وتصحيح الهيئة

سرعان ما يعود عند الخطأ وينزجر

وسرعان ما يُعيد الحقوق إلى أهلها ويعتذر

إنه عبدٌ يحاول صادقاً أن لا يقع في المحظور

وإن وقع يوماً نهض على الفور.. واستغفر ربَّه وأناب

إنّه عبدٌ عَلِمَ ما عند الله من الرحمة والمغفرة والعفو فلجأ إليه، وطرق بابه..

وأمّا الله التّواب: فهو الربّ الكريم الذي يشرح صدرَ عبده للرجوع إليه، والتوبةِ بين يديه..

ثم يتقبّلها منه مِنَّةً وتفضُّلا.

الربُّ التوّاب: هو الذي يرجع إلى عبده

- بالرضا بعد الغضب
- وبالعطاء بعد المنع
- وبالحب بعد البغض
- وبالتوفيق بعد الخذلان
- وبالسعة بعد التضييق

بل ويعطيه الذي لا يملك أحدٌ على إعطائه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [سورة الفرقان: ٧٠].

***

اللهُ يُطمّعك.. وليس يخيّرك

عن ثابت، عن أنس، أنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الفَرْخِ، فَقالَ له رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **هلْ كُنْتَ تَدْعُو بشَيءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إيَّاهُ؟** قالَ: نَعَمْ؛ كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ ما كُنْتَ مُعَاقِبِي به في الآخِرَةِ، **فَعَجِّلْهُ لي في الدُّنْيَا، فَقالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: سُبْحَانَ الله! لا تُطِيقُهُ -أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ- أَفلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،** قالَ: فَدَعَا اللهَ له، فَشَفَاهُ.

فربّنا الكريم سبحانه، عنده من الرحمة والعفو والعطـاء، والجود؛ ما يجعلنا نطمع في فضله بأن يعفو عنا، وأن يستر علينا وأن يحسن إلينا في الدنيا والآخرة.

أجملُ استعطاف

سبحانك اللهمَّ تدري ما نُكابِدُهُ
اشفِ الصدورَ بفضلٍ منك يَنهَمِرُ

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. صحيح البخاري

٢. صحيح مسلم

٣. سنن الترمذي

٤. سنن النسائي

٥. مسند الإمام احمد

٦. المفردات للراغب

٧. تفسير الطبري

٨. تفسير ابن كثير

٩. تفسير السعدي

١٠. تفسير البغوي

١١. ولله الأسماء الحسنى لعبدالعزيز الجليل

١٢. هذا ربي لخالد الخليوي

فهرس الموضوعات